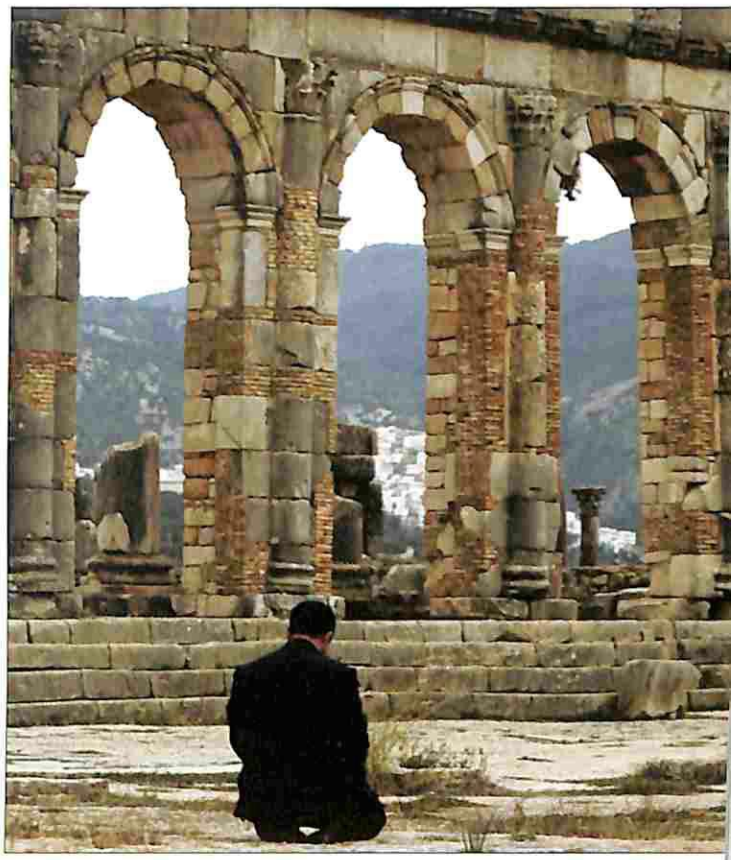

يعدُّ الدكتور ادريس نقوري من الباحثين والنقاد المغاربة الموسوعين. الذين شملت أعمالهم العديد من المجالات والتخصصات. فهو من النقاد الأوائل الذين أنجزوا أعمالا علمية. أكاديمية بارزة في مجال المصطلح والنقد والتنظير للأدب عامة والأدب الإسلامي بخاصة. ويكفي أن نذكر بعض مؤلفاته المتنوعة لنكشف عن مكانة هذا الباحث الأكاديمي المتميز وهي غيض من فيض.. من هذا المنطلق. واعتبارا لمكانة هذا الباحث العلمية، وعطائه الفكري الوفير في التنظير للأدب الإسلامي، أجرينا مع فضيلته هذا الحوار العلمي الذي يكشف لنا فيه عن اهتمامه الواسع بالنقد والأدب الإسلامي وقضاياه المرتبطة بالمصطلح. واشكالياته. وموضوعاته التي منها قضية الالتزام والواقعية. والفن في علاقته بالأدب عامة. والعناصر الجمالية والرؤيوية وما يتصل بها من قضايا الأمة الإسلامية بخاصة.

فضيلة الدكتور إدريس نقوري

هل نحن قادرون على إنشاء نظرية نقد عربية..؟!

حاوره :د . حسن مسكين مبارك

●● **بوصفكم أحد المشتغلين بقضايا النقد والأدب والمصطلح، كيف ترون حصيلة النتاج العربي والإسلامي من هذه القضايا؟**

هذا سؤال عام يتطلب مراجعة قضايا الأدب والنقد والمصطلح على مستوى الوطن العربي ويستدعي فحص النتاج الأدبي في كل قطر على حدة. ولن يتأتى هذا إلا لفريق متخصص تتضافر جهود أعضائه للقيام بعملية جرد للوقوف على الحصيلة المذكورة.

ومع ذلك فيمكن القول إجمالا إن قضايا الأدب والنقد والمصطلح قد عرفت تطورا ملحوظا في العقود الأخيرة وبكيفية متفاوتة بل يجوز القول إن الدراسة الأدبية والنقدية على صعيد الوطن العربي وفي المغرب العربي تحديدا ازدهرت بشكل ملموس بسبب استيعاب الباحثين

والنقاد للمناهج الحديثة واستفادتهم من نظريات الأدب والنقد ومن مجموعة العلوم الجديدة التي غذت الأدب بمقاربات مستمدة من العلوم التجريبية ومن السيميائيات وغيرها.

أما الدراسة المصطلحية فلا شك أنها بلغت شأوا كبيرا في المغرب وفي بلدان عربية أخرى وحققت تراكما إيجابيا بفضل الجهود المبذولة على الصعيد الأكاديمي وفي مجال التخصص العلمي المرتبط بالمفاهيم ومفاتح العلوم.

وتجدر الإشارة هنا إلى جهود الباحثين المغاربة وإلى الإنجازات التي حققها معهد الدراسات المصطلحية في فاس تحت إشراف د. البوشيخي.

●● يشكل القرآن الكريم والشعر العربي القديم الأساس الذي أقام عليه كثير من الكتاب والمؤلفين أعمالهم قديما، فكان عطاؤهم غزيرا كما، بارعا كيفا، لكن ما الذي حدث اليوم؟ أنحن أمام أزمة إنتاج أم قراءة؟

وكيف يمكن للتراث أن يكون باعثا على ازدهار الأدب والنقد الإسلامي؟

لا يشك أحد في أهمية التراث بالنسبة لأية ثقافة ولأية حضارة. والتراث العربي الإسلامي وفي مقدمته القرآن الكريم واللغة والشعر مصدر لا غنى عنه لكل من يريد أن ينتج أدبا أصيلا وفنا ناضجا ورفيعا. وإذا كان القرآن الكريم واللغة العربية من عناصر الأصالة والسمو في

■ عندما نستطيع أن نكف من أن نكون صدى للآخرين نستطيع الانتقال إلى مرحلة التأصيل.

الأدب القديم فإنهما عاملان أساسيان ومكونان ضروريان في الأدب الحديث وهما اللذان أضفيا على الشعر الحديث مثلا طابعه التجديدي لأن الشاعر الحديث استلهم التراث في كثير من تجاربه الشعرية واستمد منه العون والأصالة عندما استدعى رموزه وشخصياته ووظفها من أجل التعبير عن المعاصرة وعن القضايا المستجدة. وليس بدعا والحالة هذه أن يكون القرآن الكريم والشعر العربي الأصيل باعثين على تجديد الأدب الإسلامي وعلى ضخ دماء جديدة في عروقه لأنهما المكونان التراثيان الأقرب إلى طبيعة هذا الأدب وإلى وظائفه وأهدافه.

وإذا كان أدباؤنا الكبار القدماء قد تأثروا بالقرآن الكريم وبالشعر الجاهلي أفلا يحق لأدبائنا المعاصرين أن يستمدوا موادهم وتصوراتهم ورؤاهم من المصدر نفسه؟

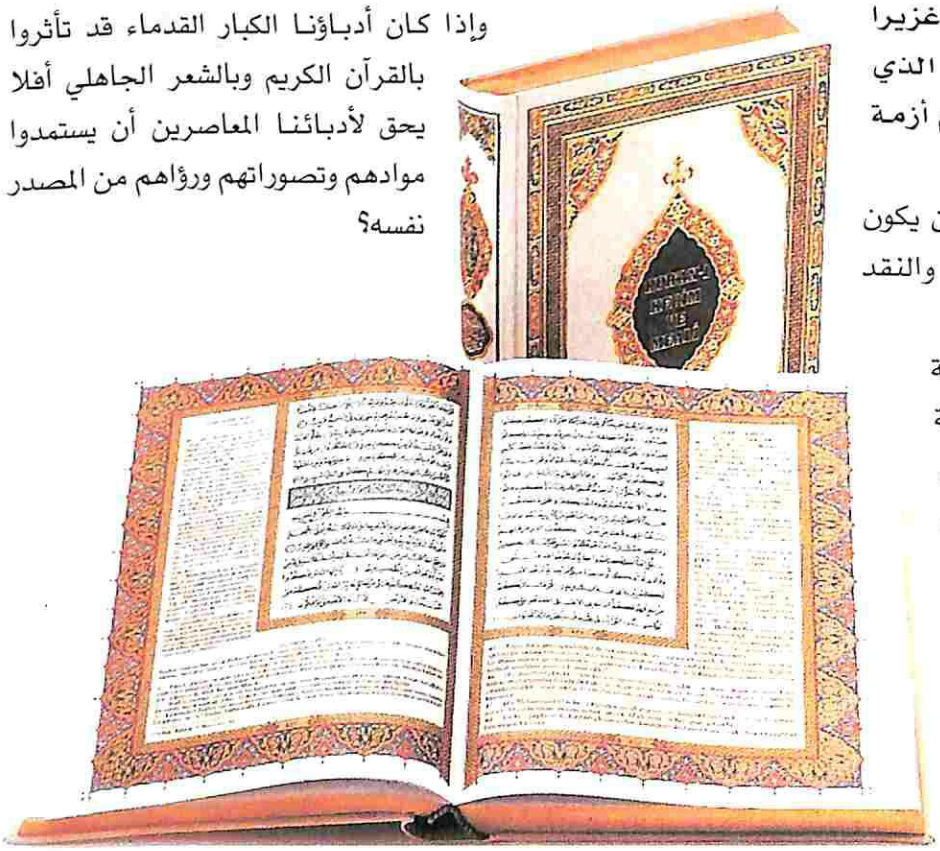

●● إذن ما الجوانب التي يجب التركيز عليها في عملية توظيف التراث حتى نحصل على نتاج أدبي ونقدي متميزين؟ وما العناصر التي يجب استثمارها في محاولة إنتاج نظرية أدبية ونقدية إسلامية أصيلة ومنفتحة في الآن نفسه؟

من المعلوم أن التراث أنماط مختلفة فهناك التراث الديني والتراث التاريخي والتراث الأدبي والصوفي والأسطوري والشعبي والعلمي. وكل صنف يشتمل على عناصر كثيرة ومعطيات غنية تفيد المبدع والباحث على السواء. ومن حق كل منهما أن ينتقي من التراث ما يلائم تجربته ويخدم أهداف البحث الذي يحرص على إنجازه، ومسؤولية الانتقاء تقع على عاتق كل منهما لأن الشاعر أو الكاتب أو الناقد عندما يختار مظهرا من مظاهر التراث أو رمزا من رموزه أو واقعا من وقائعه فالمفروض فيه أن يحسن الاختيار وأن ينظر إلى التراث نظرة نقدية تجنبه السقوط في الأوهام والمزالق وتحمي إنتاجه الإبداعي أو الفكري من الأخطاء التي قد يقع فيها من لم يتعامل مع التراث بوعي واقتدار وذكاء.

وقد ثبت أن النتاجات الأدبية والدراسات النقدية والعلمية التي تعامل أصحابها مع التراث برؤية جدلية فاحصة وبحرص صادق على تمثله من أجل بناء خطاب أدبي جديد أو مشروع نقدي معاصر، هي التي نجحت وحظيت بقبول وتقدير المتلقين والقراء وتقديرهم وهي التي مكنت من تأسيس أدب ونقد متميزين ومؤثرين في الساحة الأدبية والحساسية الفنية.

لقد كثر الحديث في الأعوام الماضية عن نظرية نقدية عربية. وطالبت جهات ومؤسسات وشخصيات أدبية وعلمية في الوطن العربي بالعمل على بلورة النظرية المذكورة وقد تكررت دعوات مماثلة في مناسبات مختلفة مع العلم أن ملامح هذه النظرية واضحة ومنجزة سواء تعلق الأمر بالأدب القديم أم بالأدب الحديث، فالتراكم الحاصل على المستوى الأول ومنذ قرون كفيل بتكوين النظرية المتوخاة. ولا شك أن الإنجازات المعاصرة في مجالي الأدب والنقد من شأنها هي الأخرى المساهمة في تأسيس نظرية نقدية عربية معاصرة.

ويبقى بعد هذا أن الدعوة إلى أدب ونقد إسلاميين دعوة مرهونة بقدرة أدبائنا ونقادنا على استيعاب الإشكالية وتجاوز العقبات المعترضة.

●● ينادي بعضهم بضرورة الحفاظ على الخصوصية العربية الإسلامية، فيما يذهب بعض الآخر إلى أن هذا المطلب بعيد المنال في ظل ثقافة كونية، تتجاوز حدود اللغة المحلية، والفكر القطري ولا سيما مع ما أفرزته العولمة من تأثيرات اقتصادية واجتماعية وثقافية شاملة. فكيف يمكن لنا أن نحول هذا التأثير الكوني من مستواه السلبي إلى مستوى أكثر إيجابية؟ وهل مسألة الخصوصية في الأدب والنقد تتعارضان مع العالمية؟

تعودنا، ببالغ الأسف، ومنذ عقود على ترديد مفاهيم ومصطلحات أجنبية هي في الأصل وليدة ظروف اقتصادية واجتماعية وسياسية سادت في الغرب وفي بلدان أوربا تحديدا. ولم نكتف باجترار تلك المفاهيم والنظريات ولكننا حرصنا على "توظيفها" في حياتنا العلمية، وفي ممارساتنا الفكرية والنظرية منساقين بوعي وبغير وعي وراء أصحابها ومستخدميها في الغرب. فكنا في كثير من الحالات تابعين ومقلدين لا مجددين ولا مؤصلين. وهكذا فكلما ظهرت صيحة في الغرب بادرنا إلى تلقفها وكأننا مجرد رجع صدى لها: ظهرت الماركسية فرحبنا بها وتبنينا كثيرا من أطروحاتها ونظرياتها وحاولت تيارات فكرية وسياسية في العالم العربي تطبيقها على الواقع الاجتماعي في بلدان عربية في الخمسينات والستينات من القرن الماضي. ولما انتشرت الوجودية في أوروبا سارعنا إلى ترجمة مؤلفات زعمائها وروادها وتأثرنا بها في كتاباتنا الإبداعية والأدبية. وقس على ذلك بالنسبة للحركات الفنية والفكرية الأخرى.

على أن أكبر كذبة – أو قل خدعة – انطلت علينا هي العولمة التي كثر الحديث عنها في الأعوام الأخيرة وهي مصطلح مريب يخفي حقيقة مضمونه الذي ليس سوى الإصرار على السيطرة وعلى استغلال ثروات الشعوب وفرض نمط معين من السلوك والاستهلاك والتهميش.

ومن المفارقات الغريبة أننا كنا من بين "المطبلين" لهذه الخدعة المروجين لها فكرا وعملا وإن تنبه بعض مفكرينا ومثقفينا إلى أخطارها وحذروا من عواقبها الوخيمة ومن مغبة مسايرتها كليا.

وبالفعل، فإن العولمة باعتبارها فلسفة سلبية ورؤية استعمارية جديدة قائمة على العدوان والنهب والخديعة والتضليل (والأمثلة على مظاهرها ونتائجها واضحة للعيان في أفغانستان وفلسطين والعراق إلخ) تستهدف، على المستوى الفكري والثقافي الخصوصيات التي تميز الثقافات الوطنية وتسعى، في مشروعها الشامل والبعيد المدى، إلى تذويب الفوارق بين الثقافات والحضارات من أجل فرض نموذج استهلاكي واستغلالي ذي بعد واحد يخدم استراتيجية استعمارية جديدة تقودها أمريكا التي تدعي الديمقراطية وتمارس عدوانها السافر على الشعوب متحدية بذلك القوانين الدولية والأعراف والأخلاق البشرية والرأي العام الدولي والوطني.

ومن حسن حظنا نحن العرب والمسلمين أننا ننتمي إلى ثقافة وحضارة ذات خصوصية قوية ومنيعة وفي الآن عينه ذات أبعاد عالمية وإنسانية عميقة وشاملة. فديننا الحنيف رسالة إلى البشرية جمعاء وليس ملة مقصورة على قوم دون قوم، ليس مثل اليهودية أو المسيحية ولكنه الإسلام بمفهومه الشامل الذي بدأ مع نوح عليه السلام وتواترت الرسالات الإلهية لدعمه ونشره وجاءت الدعوة المحمدية لإعلام الناس بطابعه العالمي ومميزاته الكونية.

فكيف والحال هذه نخشى على خصوصيته الثقافية وتطبيقاته الأدبية والفنية من العولمة. لا ينبغي أن نخاف من العولمة أو من غيرها من الحركات والفلسفات التي يروج لها الغرب والتي تخفي في كثير من الأحيان أهدافها الحقيقية إذ لا تعدو في حقيقة أمرها أن تكون مشاريع تتغيا الهيمنة والاستغلال. ولكن لا ينبغي كذلك أن نركن إلى الراحة ونسلم للآخر أمرنا بل لا بد من اليقظة والعمل الجاد والوعي العميق بحقيقة الصراع الذي يفرضه علينا الآخر: لابد من المحافظة على خصوصيتنا الفكرية والحضارية والثقافية والعمل على إبراز أبعاد ديننا وثقافتنا العربية الإسلامية، فبهذا وحده يمكننا مواجهة التحديات وقهر الخصم الذي إن ملك سلاح التقنية والمادة فهو لا يملك الخصوصيات التي تعد ثوابت

■ العولمة مصطلح مريب يخفي مظهره البراق حقيقة مضمونه السياسي الذي يهدف إلى السيطرة على مقدرات الشعوب المستضعفة.

لا سبيل إلى تذويبها ومحوها لأنها مرتبطة بقوة أعظم وأجل من قوة البشر، ولكن هذا يستوجب منا التمسك بها وتنميتها وتقويتها بالعلم والعمل.

إن هناك علاقة جدلية قوية بين الخصوصية والعالمية وكثيرا ما تكون الخصوصية الأصلية والميزات المحلية المحدودة طريقا إلى العالمية. وليس هناك إذن تعارض بين الاثنتين بل تكامل وتفاعل جدلي وإيجابي خلاق. فالخصوصيات الوطنية والجهوية ذات المحتوى الإنساني والاجتماعي والفلسفي الأصيل هي في حقيقتها ذات أبعاد عالمية وإنسانية.

●● الواقعية والالتزام مصطلحان شائعان في الأدب الإسلامي، وبقدر شيوعهما، بقدر ما يثيران من إشكاليات، حيث تتضارب الآراء حولهما، ووظيفتهما، فهل لكم أستاذنا الكريم أن توضحوا أكثر أبعاد ودلالات هذين المصطلحين؟

وهل حقيقة أن الالتزام أو الواقعية تحدان من جمالية الأدب؟

إن الأسئلة التي تثار حول المصطلحين تعود إلى أسباب منها مرونتهما فهما قابلان للتشكل والتعبير عن مفهومات متنوعة. ومنها مقاصد المستعمل: الباحث أو المبدع أو رجل الفكر والسياسة. ومنها السياقات المختلفة التي يرد فيها المصطلحات ولذلك كانت الواقعية واقعيات تتنوع بحسب الموضوع والهدف ورغبة المستخدم، فهي إذن أنماط منها الواقعية الواقعية، والواقعية النقدية، والواقعية الرمزية، والواقعية الاشتراكية، والواقعية السياسية، والواقعية الأسطورية، والواقعية الجديدة. ومضمون كل نمط – أو مصطلح – يحدد السياق وشروط الاستعمال: فالواقعية السياسية مثلا، في الثقافة السياسية تعني القبول بالأمر الواقع ومسايرة الوضع القائم إلى أن تتوافر شروط تغييره أو إصلاحه...

والواقعية الشعبية تعني – في الأدب- التعبير عن واقع الفئات الشعبية المستضعفة بأمانة وأسلوب يعكس هموم ومعاناة أفراد تلك الشرائح المقهورة. والواقعية الإسلامية إنما هي الالتزام بمبادئ العقيدة في الممارسات السياسية والأدبية والفنية عامة، في السلوك والمعاملات والعلاقات. وما أكثر ما تتضاءل الفروق بين الواقعيات وتذوب الحواجز إذا توحدت الغايات. فمن ذا يستطيع مثلا أن يفصل بين الواقعية الإسلامية وبين الواقعية الاشتراكية أو حتى بين الأولى وبين الواقعية النقدية إذا فهمت الواقعية النقدية بمدلولها الإيجابي السليم ألا وهو كشف العيوب الاجتماعية ومعالجة المشكلات السياسية وغيرها برؤية نقدية تروم التصحيح والإصلاح والتوجيه الأخلاقي الهادف إلى صيانة القيم وتماسك المجتمع[1].

وما يقال عن الواقعية يمكن أن يصدق على الالتزام، فهو مفهوم، فضفاض يمكن تقييده في الاستعمال وبحسب الاتجاهات والمدارس الفكرية. فالالتزام الماركسي،مثلا، غير الالتزام الوجودي وإن كانت

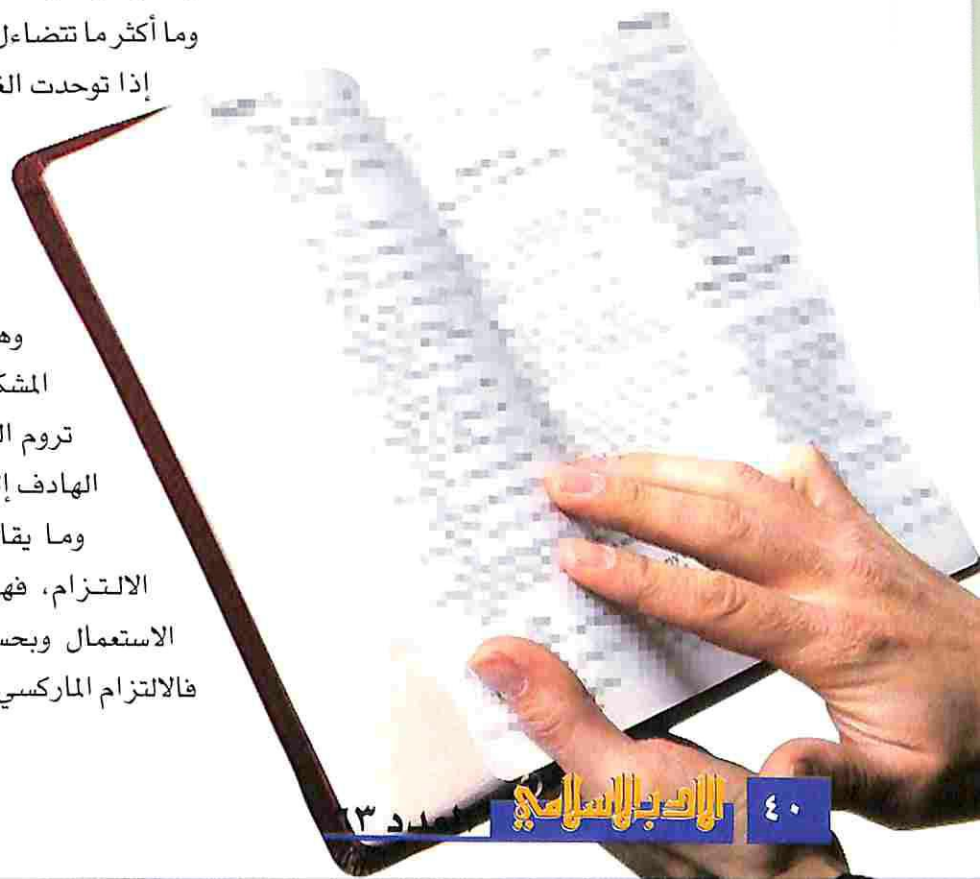

بينهما أوجه شبه كثيرة. والالتزام، في دلالته الإسلامية أعم وأعمق وأوضح وهو أسبق أنواع الالتزام التي شاعت في الثقافة الغربية المعاصرة. فالالتزام الإسلامي تبلور في عهد الدعوة على المستويين: الواقعي العملي وعلى مستوى الفاعلية الفنية عندما اشتدت المعركة بين المسلمين وبين كفار قريش. في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وتدخل شعراء المشركين واليهود لمناصرة الكفر والشرك والطعن في الإسلام والمسلمين، فكانت المعاملة بالمثل. وتصدى شعراء الإسلام للدفاع عن العقيدة وعن الرسول عليه الصلاة والسلام وأصبح الالتزام بمبادئ الدين والتعبير عن قيمه والدفاع عن مكاسبه وأخلاقه من أوجب واجبات الأديب المسلم وسمة بارزة من سمات الأدب الإسلامي. وهكذا نلاحظ أن الالتزام في أدبنا وثقافتنا عنصر حيوي ومحرك رئيسي في الإنتاج الفني والتعامل البشري. ظهر قبل نظرية الفن للفن ونظرية الفن للمجتمع بقرون طويلة، لذلك فنحن لسنا في حاجة إلى من يزايد علينا بخصوص الواقعية والالتزام. ويكفي التذكير هنا بأن الشعر الجاهلي وهو مصدر رائع من مصادر ثقافتنا، كان واقعيا وملتزما بمفهوم الواقعية والالتزام في تلك الفترة. ولما جاء الإسلام كيف المفهومين تكييفا يتلاءم وروح العقيدة. وهذا التكييف من ثوابت الأدب الإسلامي يمكن لأي أديب مسلم أن يتصرف، في نطاقه بحسب طاقته الإبداعية وقدرته الإدراكية وموهبته الفنية.

وأغلب المدارس الأدبية والفنية والفلسفات الوضعية إنما لجأت إلى تكييف الأدب والفن وتطويعهما ليعبرا عن أهدافها ومقاصد زعمائها وروادها.

وبما أن الواقعية والالتزام مفهومان مرنان وثابتان من ثوابت الدين فإن حل إشكاليتهما يتوقف على قدرة الكاتب أو الناقد على التوفيق بين مقتضيات الثبات ومتطلبات التغير وتلك معادلة صعبة يوكل أمرها إلى أصحاب الحرفة وأهل الاختصاص ليواجهها كل منهم ويجيب عن أسئلتها بما يناسب ذوقه واقتناعه ويبرز أصالته.

■ التزامنا الإسلامي أعمق وأشمل من الالتزام الماركسي والوجودي وأكثر واقعية وأسبقية.

وفي هذا السياق لا يبقى لعبارتي: نظرية الفن للفن ونظرية الفن للمجتمع من معنى لأن السؤال الحقيقي هو: في أي إطار نظري وفي نطاق أية رؤية فلسفية عامة وشاملة؟

وإذا كانت تلك الرؤية هي الإسلام فلا إشكال. وإذا كانت غير ذلك فهنا تطرح الأسئلة وتبدأ الخلافات.

●● هناك من يرى أن قدر الأدب الإسلامي والأدب الغربي أن يظلا في صراع دائم ما دام كل منهما يصدر عن رؤية خاصة للكون. فهل هذا التصور صحيح؟ وكيف يمكن أن يصبح المسار تكامليا بدل أن يبقى صداميا؟

إذا علمنا أن الأدب الإسلامي هو الذي يصدر فيه الأديب عن مبادئ الإسلام ويمثل قيمه وأخلاقه، فإن عبارة الأدب الغربي تبدو ملتبسة، فهي تسمية جغرافية في مقابل التسمية الأولى المرتبطة بالدين. والأدب الغربي متصل هو الآخر بالدين المسيحي.

وطالما أن الأدب في أية بقعة من الأرض يصدر عن رؤية دينية صحيحة وشاملة فلا بد أن يكون في عمله أدب إنساني يرتبط بالجوهر الحقيقي ويدافع عن الحق والخير والجمال. ويحدث في حالات كثيرة أن نقرأ أدبا من الآداب العالمية تبرز فيه هذه القيم لم يكن صاحبه منتميا إلى الإسلام صراحة وشرعا. ومعنى هذا أن كل أدب سام وأصيل هو في عمقه أدب إنساني ينتمي إلى جذر وجوهر واحد. بيد أن الانحرافات التي لحقت المسيحية والافتراءات التي أدخلها بعض أهل الكتاب على دين

الخالق سبحانه وهو دين واحد من عهد نوح عليه السلام، كل ذلك جعل بعض أدباء الغرب يتيهون في ضلالات ما أنزل الله بها من سلطان ويرددون خرافات وأوهاما لا يقبلها العلماء المسيحيون المؤمنون ولا من باب أحرى علماء الإسلام. وهنا نشأ الخلاف – أو الصراع- بين الأدب الإسلامي وبين الآداب المسيحية التي تفشت فيها أفكار الشرك والإلحاد وغير ذلك من الآراء التي فندها الإسلام وأبطلها وأكد أنها مجرد افتراء،على الله سبحانه وتعالى وعلى المسيح عليه السلام.

وعلى الرغم من هذا فإن المسيحية أقرب إلينا من غيرها بنص القرآن الكريم في سورة المائدة: "لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين أمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون".

إنني لا أشك في أن كثيرا من المفكرين والكتاب المسيحيين يدافعون عن القيم ذاتها التي أقرها الإسلام وأن فئة كبيرة منهم تتحفظ في مسألة التثليث والترهات الأخرى التي اختلقها الرهبان وزعماء الكنيسة، ولذلك نلاحظ أن منهم من اقتنع بحقيقة الإسلام فسارع إلى اعتناقه والدخول في حماه.

ويبدو أن الصراع بين الأدبين صراع مفتعل أججت أواره الطبقات المستغلة وشجعته القوى الجشعة، في الغرب، وهي قوى استعمارية تحرص على الهيمنة وعلى استبعاد الشعوب ومن مصلحتها أن تحارب الإسلام والمسلمين. وهذا ما حدث في الماضي ويحدث الآن بصورة سافرة وتحت أقنعة جديدة كثيرة.

ولو جرى حوار جدي وصريح بين المسلمين والمسيحيين لتكشفت للطرفين أمور تجمع بينهما.

إن الأدب الغربي غني بتجاربه وصوره وتقنياته التي غذتها الفلسفات الكبيرة في تاريخ الثقافة الغربية وكذلك الأدب الإسلامي. فهما فعلا متكاملان ولا تناقض بينهما ولا خلاف إلا في ما يتصل ببعض الآراء التي تبنتها المسيحية ولا يقبلها الإسلام. أما الثوابت الأخرى فهي متشابهة بل ذات أصل واحد لأن الأديان السماوية الثلاثة ذات مصدر إلهي واحد وإن كان اليهود والنصارى قد حرفوا كتاب الله وكذبوا على أنبيائهم ورسل الخالق جل علاه.

والخلاصة أن الصراع الذي نشب بين الأدبين هو بفعل البشر والأجيال التي تبعت الأهواء والمصالح وليس بسبب العقيدة.

وتبقى مسؤولية أدباء الإسلام كبيرة وشاقة لأنهم مطالبون بتوضيح الأمور وبإقناع الآخرين بحقيقة الإسلام الذي هو امتداد لدين إبراهيم عليه السلام وجاء ليهيمن بقيمه وأنواره وهداه على كل الأديان الأخرى. فهو دين الله الحق لم تشبه شائبة ولم يتسرب إليه شك أو انحراف، يستوعب اليهودية والمسيحية الحقيقيتين ويستجيب لتطلعات الإنسان في كل زمان ومكان.

●● قضية المصطلح من أبرز القضايا التي تتطلب تحديدا وضبطا. كيف يمكن للمصطلح أن يساهم في بناء نظرية خاصة بالأدب الإسلامي؟ هل أثبتت هذه المصطلحات الرائجة في حقلي الأدب والنقد الإسلامي كفايتها، أم أنها تحتاج إلى مزيد من الضبط والتحديد؟

تعرضت للمسائل التي يطرحها السؤال في كتابي: "المصطلح النقدي في نقد الشعر" و "مدخل إلى علم الاصطلاح". وعالجت بعض جوانبها من خلال دراسات نظرية وتطبيقية.

■ مسؤولية أدباء الإسلام كبيرة وشاقة لأنهم مطالبون بتوضيح الأمور وبإقناع الآخرين بحقيقة الإسلام.

ولا شك أن قضية المصطلح في الأدب وفي غيره من حقول المعرفة ذات أهمية قصوى في التفاهم والتواصل وفي البحث العلمي، وقد عبر عن هذا الرأي غير واحد من العلماء قديما وأجمع عليه المهتمون بالدراسات الاصطلاحية وكثيرا ما ينشأ سوء الفهم والتفاهم بين الناس وبين المختصين بسبب المصطلحات أو المفردات المستخدمة.

ومشكلة المصطلح عامة في العالم العربي. وعلى الرغم من الجهود المبذولة على مستوى الدول ومجامع اللغة العربية فإن الصعوبات ظلت قائمة بسبب تحيز كل دولة أو بلد لمصطلحاته وبسبب كثرة الاجتهادات والاقتراحات.

فحتى الآن لم تتمكن الدول العربية من تبني لغة واحدة مشتركة تجنب الباحثين والكتاب والمثقفين البلبلة والخلافات الناتجة عن قراءة وتأويل الألفاظ. ومن تحصيل الحاصل أن ضبط وتوضيح المفاهيم يساعدان على التفاهم ويسهلان الحوار والتقدم العلمي. وأن الجهود العلمية التي أنجزت في غضون العقود الأربعة الأخيرة في ميدان الدراسة المصطلحية في البلدان العربية وفي طليعتها المغرب تعد مكسبا علميا كبيرا وخطوة إيجابية من أجل تذليل العقبات وتجاوز العثرات. وقد أفادت الطلبة والباحثين، على المستوى الأكاديمي. كما انتفع بها الكتاب والأدباء. ولعل المشتغلين بالأدب الإسلامي من أحرص الناس على العناية بقضية المصطلح. وتراثنا والحمد لله زاخر بكم وافر من المصطلحات العلمية تطفح بها كتب علوم القرآن والحديث والمؤلفات العميقة في أصول الفقه والشريعة فضلا عن علوم الفلسفة والبلاغة والأدب. وأن من مراجعة هذا التراث الخصب والحي المتجدد واستيعاب مفاهيم مصطلحاته من شأنهما حقا تشجيع أدباء الإسلام على صياغة نظرية شاملة ومتكاملة للأدب الإسلامي تستمد جذورها وجوهرها من التراث: القرآن والسنة والإجماع وتحلق بفروعها وإشعاعها في سماوات الإبداع مسايرة تطور الأحداث والواقع قائدة لركب الابتكار والتجديد والتحديث بمفهومها الأصيل بعيدا عن الغوغائية والاستلاب والانبهار السلبي. وأعود لأقول: إن هذه مسؤولية الأدباء والمفكرين في العالم الإسلامي وفي العالم العربي تحديدا، على اعتبار أن أدباء العربية أقرب إلى فهم روح العربية وأقدر على تمثل عبقريتها وكشف أسرارها. وهذا من صميم المسألة الاصطلاحية ومن مهام القائمين على الأدب الإسلامي الغيورين على مستقبله المنافحين عن رسالته الحريصين على أن يؤدي دوره في الحياة- كاملا غير منقوص- كما أداه في الحقب الماضية، ضد الشعوبية والانحراف وضد الصليبية وفي مرحلة الاحتلال والاستعمار. وهو اليوم مطالب بالوعي واليقظة والفعالية لمواجهة التحديات الجديدة المخاتلة والمراوغة والمتذرعة بأسلحة كثير ■

الهوامش

*أ.د.إدريس نقوري: أستاذ جامعي،أكاديمي وناقد أدبي مغربي.

**د.حسن مسكين مبارك: أستاذ المناهج الحديثة وتحليل الخطاب.

(١) كل من هاتين الواقعيتين بعيد عن روح الإسلام وواقعيته، ولكن يمكن الاستفادة من بعض إيجابياتهما التي أشار إليها.